

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163 -1112 العدد 15 (2011) : 461 - 469
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

دراسة إحصائية سوسيولوجية مقارنة لبعض الخصائص السكانية في الصحراء الكبرى -منطقة غرداية نموذجا-

محمد طويل
قسم علم الاجتماع المركز الجامعي غرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

مقدمة

من الممكن التمييز بين سكان أي مجتمع على أساس عدد من الخصائص الديمغرافية، الاجتماعية والبيئية، وهذا التمييز هام، بل ضروري في نواحي كثيرة تتمثل في معرفة بنية المجتمع، ومختلف العمليات الاجتماعية والثقافية السائدة فيه، إلى جانب معرفة المدى الأوسع لمتطلبات المجموعات السكانيةخاصة في ظل التغير الاجتماعي السريع الذي تمر به المجتمعات حديثا.

ومن خلال التعبير الإحصائي لبعض الخصائص السكانية التي يستخدمها خبراء التعدادات العامة والمسوح والتحقيقات الديمغرافية والاجتماعية، والقائمون أيضا على تحليل إحصاءات السكان، يمكن التعرض بقدر من الإستطاعة لبعض من هذه الخصائص المتعلقة بسكان منطقة غرداية–في عمومياتها–، والتي تشغل حيزا جغرافيا معتبرا من الصحراء الكبرى. ولعل دقة عدد أو حجم السكان يعد من المتغيرات القوية في عمليات التغير الاجتماعي وحلقة أساسية أيضا من حلقات البناء الاجتماعي الكلي للمجتمع، لذلك يؤكد «لين سميث» أن عدد السكان يعني أهم حقيقة ديمغرافية واجتماعية لأي إقليم كبير كان أو صغير[(1)]، ويقصد به عادة مجموع السكان في قرية أو مدينة أو محافظة أو دولة وفي زمن معين.[(2)] كما تولى أهمية كبرى لمتغير تركيب السكان في أي مجتمع وفي أية منطقة حسب فئات السن والنوع الإجتماعي (ذكور – إناث) باعتبارهما أيضا مؤشرين هامين لإحداث التوازن أو إختلاله بين السكان.

ولما كان التوزيع الجغرافي أو التوزيع المكاني يتناول توزيع السكان في المساحة أو البيئة التي يعيشون فيها، فمن المهم جدا أن تتم الإشارة إلى التقسيمات أو التوزيعات المختلفة لسكان المنطقة من أجل معرفة النظم والتقاليد والأعراف الاجتماعية والثقافية والدينية التي تحكمها.

وهناك متغيرات أخرى لها دلالات إحصائية وسوسيولوجية هامة يمكن معالجتها في هذا

المقام، ومنها نمط الأسرة الغالب في المنطقة، والحالة الزواجية لسكان المنطقة بالإضافة إلى نسبة التعليم وتوزيع حضيرة السكن والشغل...الخ.

وعلى هذا الأساس يتم إلقاء قدر من الضوء على هذه المتغيرات الرئيسية التي تساعد بشكل واضح على فهم التحولات الديمغرافية التي مست هذه المجموعة السكانية.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى مدى إختلافها من حيث الخصائص في بيئتها الحضرية والريفية أو بإختلافها مع خصائص المناطق الأخرى المكونة للمجتمع الجزائري، وسيتم التعرض لذلك من خلال التركيز على المقارنة البسيطة بين النتائج الإحصائية الأخيرة للديوان الوطني للإحصاء وبخاصة في الفترة الممتدة مابين 1998 و2008 الأمر الذي يمكن توضيحه وفقا للنقاط التالية:

1-نبذة عن الموقع الجغرافي لمنطقة غرداية.

2-الحجم والتوزيع الجغرافي للسكان.

3-تركيب وتكوين السكان (فئات السن والنوع الاجتماعي)

4-نمط الأسرة السائد.

5-الحالة الزوجية.

1/ نبذة عن الموقع الجغرافي لمنطقة غرداية:

تقع منطقة غرداية في الجزء الشمالي للصحراء الجزائرية، وقد تحولت هذه المنطقة إلى ولاية من خلال التقسيم الإداري الذي تم سنة 1984 بعدما كانت تابعة لولاية الأغواط قديما.

تتكون حديثا من عدة دوائر من ذلك دائرة غرداية، دائرة متليلي، دائرة المنيعة...الخ.

يحد ولاية غرداية شمالا ولاية الأغواط، ومن الشمال الشرقي ولاية الجلفة، ومن الشرق ولاية ورقلة ومن الجنوب ولاية تمنراست، أما من الجنوب الغربي فتحدها ولاية أدرار، في حين يحدها من الغرب ولاية البيض.

تتربع هذه الولاية على مساحة قدرها 84.660.12كلم^2، وتضم عددا من السكان يقدر بـ 405015 ساكن معظمهم شباب[(3)] ويمكن التفصل أكثر في هذه الأرقام من خلال الجداول اللاحقة:

2/جدول رقم (01) يبين الحجم والتوزيع الجغرافي لسكان منطقة غرداية حسب الكثافة السكانية والبلديات:

البلدية	عدد السكان	المساحة (كلم^2)	الكثافة السكانية بـ(كلم^2)

غرداية	114003	306.47	371.47
المنيعة	41413	23920.68	1.73
الضاية	12940	2234.94	5.78
بريان	32683	2609.80	12.52
متليلي	44931	5010.12	8.97
القرارة	64799	3382.27	19.16
العطف	16759	717.01	23.37
زلفانة	10584	1946.23	5.44
سبسب	3184	4366.82	0.73
بنورة	37561	778.92	48.22
حاسي الفحل	4198	6875.39	0.61
حاسي القارة	18819	27698.92	0.68
منصورة	3141	4812.55	0.65
المجموع	405015	84660.12	4.78

المصدر:

Ministère des finances ,la wilaya de Ghardaïa par les chiffres 2010, Direction général du budjet, Direction de la programation et du suivi budjetaires, Ghardaïa, 2010, p13.

جدول رقم (02) يبين السكان المقيمين بمنطقة غرداية والمناطق المجاورة من الأسر العادية والجماعية حسب معدل النمو:

الرقم	الولاية	عدد السكان	معدل النمو
1	أدرار	399714	2.6
3	الأغواط	455602	3.8
11	تمنراست	176637	2.6

17	الجلفة	1092184	3.3
30	ورقلة	558558	2.3
32	البيض	228624	3.1
47	غرداية	363589	2.0

المصدر: معطيات الديوان الوطني للإحصاء (تعداد 2008/1998)، مأخوذة من مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية بغرداية.

وطبقا لمعطيات الجدول رقم (01) فإن عدد سكان منطقة غرداية بلغ 405015 نسمة سنة 2010 وبكثافة سكانية قدرت بـ 4.78%، وهذا بعدما كان يقدر بـ 363598 نسمة حسب نتائج التعداد العام للسكان والسكن (RGPH 2008)، وتقدر الزيادة خلال هذه الفترة بـ 4147 نسمة، وهي زيادة معتبرة تشير إلىأن هذه المنطقة آخذة في النمو السكاني،الأمر الذي يتأكد أيضا من معطيات الجدول رقم (02).

حيث تم تسجيل معدل نمو سكاني سنوي قدره 2%، وما يلاحظ أن هذا المعدل بات يقترب من بعض المعدلات المسجلة لبعض ولايات الجنوب ذات الكثافة السكانية المعتبرة، كما هو الحال بالنسبة لولاية ورقلة التي يقدر معدل نموها السكاني السنوي بـ 2.3% وعدد سكانها بـ 558558 نسمة.

كما أن معدل النمو هذا المسجل لمنطقة غرداية بات يقترب أيضا من المعدلات النمو السكاني الملاحظ على مستوى المجتمعات الآخذة في النمو والتي تتزايد بـ 3% سنويا.[4]

إن الكثرة السكانية إذا ما لم تصاحبها متطلبات العيش الضرورية ومختلف المشروعات التنموية الشاملة فإنها سوف تخلق الكثير من المشكلات المستعصية اجتماعياو اقتصاديا وسياسيا، وكما تمت الإشارة إليه سابقا، فإن معظم سكان المنطقة من الفئة الشبانية والتي تحتاج عادة إلى متطلبات ذات خصوصية منها الشغل، السكن، التعليم...الخ.

أما فيما يخص توزيع السكان جغرافيا في منطقة غرداية، فإنه يبدو متمركزا في أكبر دوائر المنطقة بما فيها غرداية مركز، ولعل هذا التوزيع يثير ناحية مهمة تتطلب إهتمام ودراسة أكبر عمق لأن توزيع السكان في مساحة معينة ينشأ عنه تغير نسبي في أهمية النشاط الاقتصادي خاصة في تلك المساحة،ويمكن أن نمثل لذلك بمنطقة غرداية مركز التي أصبحت لا تتسع لممارسة النشاط الإقتصادي، ولم تعد تستوعب الأعداد الهائلة التي تسكنها، وتتواجد بها خاصة كونها منطقة عبور نحو المناطق الصحراوية الأخرى.

جدول رقم (03) يبين السكان المقيمين بمنطقة غرداية حسب السن والجنس:

فئات السن	الذكور	الإناث	المجموع
4-0	23781	22083	45864
9-5	20110	19006	39116
14-10	20190	19035	39226
19-15	19974	19388	39362
24-20	18994	18643	37637
29-25	16424	16132	32556
34-30	13068	13019	26087
39-35	11683	11771	23454
44-40	10387	10220	20607
49-45	8537	8288	16826
54-50	5908	5747	11655
59-55	3864	3802	7666
64-60	3151	2970	6121
69-65	3001	2859	5860
74-70	2575	2267	4842
79-75	1746	1376	3122
84-80	890	683	1573
80 سنة فأكثر	634	686	1320
غير مسجلين	292	414	705
المجموع	185209	178390	363598

المصدر: معطيات الديوان الوطني للإحصاء (تعداد 2008) مأخوذة من مديرية التخطيط والتهيئة بغرداية.

يمثل هذا الجدول التركيب بالسكاني لمنطقة غرداية من حيث فئات السن والجنس، ويظهر جليا أن الأعداد الكبيرة التي يسجلها صغار ومتوسطي السن أقل من 50 سنة ولكلا الجنسين، وهذا بالمقارنة مع الأعدادالمسجلة لفئات السن الكبيرة، ومن الممكن أن نحاول إستنتاجمايمكنأن يترتب على هذه الظاهرة، حيث أن فئات السن هذه تكون مطلوبة للشغل (سن

العمل) وبخاصة من جنس الذكور وتكون أيضاأعلى في هذه المراحل العمرية، الأمر الذي يؤثر تأثيرا مباشرا في جميع العمليات الديمغرافية والإجتماعية كما هو الحال بالنسبة لتوجيه الهرم السكاني والتركيب السكاني من الناحية الزواجية، أما فيما يخص متغير الجنس، فيظهر أن هناك تقارب في الأعداد المسجلة مع زيادة طفيفة لجنس الذكور والمقدر بـ 185209 نسبة مقابل العدد المقدر بـ 178390 لجنس الإناث. وهذا ماينزع اللبس كما هو شائع بين الناس أن جنس الإناث يرتفع على حساب جنس الذكور، وهذا بصرف النظر إلى مايحدث لكلا الجنسين من زيادة أو تضاؤل خلال المراحل الحياتية التي تتميز بالخصوصية والإختلاف من حيث التعرض للحوادث والوفاة.

وهناك عدد من العوامل التي تعمل على إختلاف هذا العدد من منطقة إلى أخرى ومنها الهجرة بنوعيها الداخلية والخارجية، حيث يكون غالبية المهاجرين عادة من الذكور، بالإضافة إلى انتشار وسائل منع الحمل، فقد تكتفي كثير من الأسر بالمولود الأول إذا كان ذكرا، خاصة وأنه قد ثبت في كثير من المناطق والمجتمعات زيادة نسبة الذكور على الإناث بين المواليد عموما وهذه النسبة هي 105 ذكر مقابل 100 أنثى.

ولاختلاف نسبة الذكور إلىالإناث عدد آخر من النتائج خاصة وأن زيادة نسبة الذكور تعني وفرة العمالة، وفي جميع المجالاتوأيضا في الأعمار التي تتراوح ما بين 20و50 سنة...الخ(5)

جدول رقم (04) يبين توزيع نمط الأسرة لمنطقة غرداية والولايات المجاورة لها:

الرقم	الولاية	اسرة نووية		أسرة شبه نووية (متسعة)		أسرة ممتدة		أنماط أخرى		المجموع	نسبة التحضر
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%		
1	أدرار	38515	.7470	4248	7.80	3304	6.06	8374	15.38	54441	24.1
3	الأغواط	29242	.1166	5072	11.46	8178	18.49	1734	3.90	44226	54.21
11	تمنراست	15374	.4966	3083	13.35	1597	6.91	3053	13.22	23080	67.29
17	الجلفة	63911	.5263	11424	11.35	21217	21.08	4059	4.04	100611	62.29
30	ورقلة	44980	.9071	6722	10.74	7906	12.63	2944	4.70	62552	75.09
32	البيض	16580	.5166	3140	12.59	4055	16.26	1152	4.62	24927	55.00
47	غرداية	27572	.0564	4020	9.33	8281	19.23	3168	7.36	43041	91.97

المصدر: معطيات الديوان الوطني للإحصاء 1998، نقلا عن محمد بومخلوف، نمط الأسرة الجزائرية ومحدداته، دراسة احصائية وتحليل نظري، سلسلة الوصل، التغيرات الأسرية والتغيرات الاجتماعية، فعاليات الملتقى الثالث لقسم علم الاجتماع 20–21 جانفي 2004، منشورات كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر 2005–2006، الجزء الأول، العدد 2، الجزائر، 2006، ص86.

تكشف معطيات هذا الجدول عن عدة حقائق هامة، تتعلق بنمط الأسرة السائد في منطقة غرداية وبعض مناطق الصحراء الجزائرية الأخرى، حيث يظهر جليا أن هناك توجه واضح نحو نمط الأسرة النووية وفي جميع الولايات المذكورة في الجدول أعلاه، وتتراوح نسبتها ما بين 60% و70% وتقدر النسبة لمنطقة غرداية لوحدها بـ 64.05% مقابل نسبة قدرت بـ 19.23% فقط، هي لنمط الأسرة الممتدة وتمثل هذه الأخيرة أعلى النسب المتعلقة بهذا النمط في الصحراء الجزائرية، ماعدا نسبة مقدرة بـ 21.08% قد سجلت لولاية الجلفة وهي منطقة ذات كثافة سكانية عالية.

وللإشارة فان الأسرة النووية لم تكن تتجاوز في إحصاء 1966 نسبة 59.4%، وهذا مؤشر إحصائي قوي يعكس مدى التغير الذي عرفته بنية الأسرة الجزائرية منذ الإستقلالإلى ماهي عليه حاليا.

وما يدعم هذه النتيجة، أن أكثر من 60% من مساكن الأسرة الجزائرية العادية تضم أسر نووية من الصنف الأول الذي يتكون عادة من الزوج والزوجة والأطفال، ومن غير وجود أفراد خارج هذه البنية الأسرية، وهذه المساكن الأسرية لم تكن تمثل في إحصاء 1966 سوى نسبة

46.2%[6]، وهذا دليل آخر على التغير الذي حدث للأسرة الجزائرية، وهنا يظهر أن هذا الاتجاه أصبح يشكل ظاهرة عامة بالنسبة لكل مناطق المجتمع الجزائري بما فيها المناطق الصحراوية.

ويمكن تفسير ذلك بعوامل ومتغيرات عديدة كما هو الحال بالنسبة لزيادة نسبة التحضر التي بلغت مثلا في منطقة غرداية **91.97%**، وكذا متغير السكنات الضيقة (السياسة السكانية المتبعة)، واستقطاب اليد العاملة والهجرة...الخ وهذه جميعها عوامل تساعد على بناء وتشكيل أسر نووية، ولكن هذا لا يعني التوجه نحو الفردانية والانعزالية، وإنما هو انفصال واستقلالية في إطار استمرارية تفاعل متغير القرابة وبعض المتغيرات الأخرى الاقتصادية، والاجتماعية والدينية والثقافية والبيئية، وهذا يعني أن الأسرة في منطقة غرداية والكثير من مناطق المجتمع الجزائري، تبدو نووية من الناحية الإحصائية، ولكنها ليست كذلك من الناحية الإجتماعية خاصة.

وللإشارة فإنالأسرة النووية المتسعة، لم تسجل سوى نسبة قدرت بـ **9.33%** بمنطقة غرداية وهي نمط يتميز بنوع من التكافل مع الأقارب.

أما بالنسبة لأنماط أخرى، فإنها سجلت بمنطقة غرداية نسبة ضئيلة أيضا، قدرت بـ **7.36%** وتمثل هذه الأنماط – حسب تعريفات التعداد العام للسكان والسكن **1998**– الأشخاص الذين يعيشون بمفردهم دون أسر أو الشخصين اللذين يعيشان مع بعضهما ولا توجد بينهما أية قرابة وما إلى ذلك من عائلات.

ومن الجدير بالملاحظة أيضا، من هذه النتائج هو أنه لم يتوقع إنتشار لنمط الأسرة النووية في منطقة الصحراء الجزائرية بهذا الشكل الملفت للانتباه. وعلى الرغم من أنها باتت تسجل نسب عالية من التحضر بخاصة لمنطقة غرداية والولايات المجاورة لها مثل أدرار، الأغواط، تمنراست، البيض...الخ.

يمكن تفسير ذلك بأن الميل نحو بناء أسرة نووية أصبح يمثل إتجاه عام تتجانس من خلاله مختلف مناطق المجتمع الجزائري، مما يوحي بوجود متغيرات أخرى أكثر شمولية وأكثر تأثير، قد ترتبط بعمليات التحديث والتنمية الشاملة للمجتمع.

جدول رقم (05) يبين توزيع السكان المقيمين في منطقة غرداية والمناطق المجاورة لها من الأسر العادية والجماعية البالغين 15 سنة فأكثر حسب الحالة الزواجية ولكلا الجنسين:

الرقم	الحالة العائلية الولاية	أعزب	متزوج	مطلق	أرمل	غير مسجل	المجموع
1	أدرار	132096	115194	4075	11252	11	262627
3	الأغواط	138987	149706	3568	9598	142	302002
11	تمنراست	52902	50506	2765	3875	106	110154
17	الجلفة	320302	337497	7953	22209	211	688171
30	ورقلة	172710	176779	3923	11275	155	364841
32	البيض	67463	78221	2496	5895	57	154133
47	غرداية	95681	131286	3777	7851	92	238687

المصدر: معطيات الديوان الوطني للإحصاء (تعداد 2008) مأخوذ من مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية بغرداية.

يلاحظ من خلال بيانات الجدول رقم 05 أن أغلبالأرقام المسجلة للحالة العائلية في منطقة غرداية عادت إلى المتزوجين، بحيث قدرت حالات الزواج بـ 131268 حالة أي مايعادل نسبة 55%، ويليها مباشرة عدد معتبر قد سجل لعدد حالات العزاب والمقدر بـ 95681 حالة، أي ما يعادل نسبة 40%، أما عدد حالات الطلاق فقدرت بـ 3777 حالة أي ما يعادل نسبة 1.58%، في حين قدر عدد حالات الأرامل بـ 7851 حالة بنسبة مقدرة بـ 3.28%، ويمكن تفسير ذلك بالعودة إلى البنية الهرمية السكانية فيما يتعلق بفئات السن الغالبة على سكان المنطقة، والتي عادت إلى الفئات العمرية لأقل من 50 سنة.

وعلى الرغم من هذه الأرقام المعتبرة،والمسجلة لحالات الزواج، إلا أنه في المقابل تبدو حالات العزاب معتبرة أيضا وهذا مؤشر على أن الزواج في المنطقة لم يعد مبكرا كما كان شائع في الماضي فيها، وفي جميع مناطق الصحراء الجزائرية، بإعتبار هذه المنطقة لها خصائص ديمغرافية وتقاليد إجتماعيةفي هذا المجال يضاف إلى ذلك تأثير العوامل الثلاثية، المتمثلة في ارتفاع المستوى التعليمي، وخاصة لدى جنس الإناث في هذه السنوات الأخيرة، ومناصب العمل،

وتوفر السكن، وهذا إن لم يكن الأمر يتعلق بتغير ذهنية وتفكير الفرد، وظهور أشكال من الوعي الجديد حول ظاهرة الزواج تجعل من متغير السن يلعب دورا بارزا في عملية تحضير الفرد للدخول في الحياة الاجتماعية.

الخاتمة:

بعد التطرق ولو بصورة سريعة – نظرا لقلة الإحصائيات وتقديراتها – إلى بعض الخصائص الديمغرافية والاجتماعية المتعلقة بسكان منطقة غرداية يتبين أن هذه الأخيرة تتميز بنمو سكاني معتبر ويرجع هذا الأمر إلى عدة عوامل، منها نظام الأسرة ذو الدعم القوي وإلى تقاليد الزواج المعروفة بالتضامن الاجتماعي بين سكان المنطقة.

ويظهر أيضا تمركز هذه المجموعة السكانية في المناطق الكبرى والحضرية كمنطقة غرداية مركز وبعض الدوائر الكبرى الأخرى.

ومن المؤشرات البارزة حول نمو سكان المنطقة والآخذة في الزيادة هي نسبة فئات الشباب ومن كلا الجنسين وهي فئات مطلوبة في مجال العمل، يضاف إلى ذلك التوجه غير المتوقع نحو تأسيسالأسرة النووية والذي بلغ نسبة عالية وبارزة في نفس الوقت قدرت بـ **64.5** % مقابل نسبة **19.23** % هي للأسرة الممتدة، وهذا يعتبر مؤشر قوي يعكس مدى التغير الذي يحدث لبنية الأسرة في منطقة غرداية وحتى في المناطق الصحراوية الأخرى كما ظهر في التحليل السابق.

وهذه جميعها خصائص ذات دلالة احصائية واجتماعية هامة، وذات تأثير مباشر في عمليات التنمية الشاملة لأية مجموعة سكانية.

الهوامش:

[1]- علياء شكري وآخرون، دراسات في علم السكان، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 2002، 37ص.

[2]- زيدان عبد الباقي، أسس علم السكان، مطبعة السعادة، القاهرة، 1976، ص13.

[3]- **Ministére des finances ,la wilaya de Ghardaïa par les chiffres 2010, Direction général du budjet, Direction de la programation et du suivi budjetaires, Ghardaïa, 2010, p4.**

[4]- زيدان عبد الباقي، المرجع السابق، ص63.

[5]- حسن الساعاتي، عبد الحميد لطفي، دراسات في علم السكان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص84.

[6]- محمد بومخلوف، نمط الأسرة الجزائرية ومحدداته، دراسة إحصائية وتحليل نظري، سلسلة الوصل، التغيرات الأسرية والتغيرات الاجتماعية، فعاليات الملتقى الثالث لقسم علم الاجتماع 20-21جانفي 2004، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2005-2006، الجزء الأول، العدد 2، الجزائر، 2006، ص86.